REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ دوريةٌ تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتاب
99/9440

الترقيم الدولي
977-5366-11-9

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
١٤٣٩-٢٠١٨م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

المجلد الثاني والخمسون

القاهرة

٢٠١٨م

هيئة التحرير

أ.د. أيمن فؤاد سيد ـ رئيس التحرير
أ.د. أحمد زكريا الشلق
أ.د. أحمد السيد الشربيني
أ.د. أشرف محمد مؤنس
د. محمد فوزي رحيل

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د. إسحق عبيد
أ.د. السيد فليفل
أ.د. عاصم الدسوقي
أ.د. عفاف سيد صبرة
أ.د. محمد صابر عرب
أ.د. محمد السيد عبد الغني
أ.د. محمد عيسى الحريري
أ.د. محمود إسماعيل عبد الرازق

الإخراج الفني وتصميم الغلاف : محمد أشرف عبد المقصود

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتـويات

الصفحة

مَجْمُوعَةُ التّراكُوتا الرُّومانِيَّة بالمَخْزَنِ المُتْحَفِي بأَهْناسْيَا المَدِينَة
هالة محمود خلف ٧-٥٣

وَصَايَا بَنِي أُمَيَّة وبَنِي العَبَّاس إلى وُلَاةِ عَهْدِهِم ـ دِرَاسَةٌ مُقَارَنَة
يوسف عبد الحميد بن ناجي ٥٥-٨٣

ثُغُورُ ومَوانئُ الجَزِيرَة العَرَبِيَّة على السَّواحِل الشَّرْقِيَّة للبَحْرِ الأَحْمَر
خِلال القَرْنِ السَّادِس الهِجْرِي/ الثَّاني عَشَر الميلادِي
هيلة بنت عبد الرحمن بن فراج الفراج السهلي ٨٥-١٤٤

الأَهْوَازُ العَرَبِيَّةُ ـ مَوْقِعُهَا الجُغْرافِي وعُرُوبَتُهَا
بدر بن حميد منسي السُّلَمي ١٤٥-١٧٨

انْتِشَارُ الإِسْلَامِ والثَّقَافَةِ العَرَبِيَّة في إِفْرِيقِيَّة
عادل يحيى عبد المنعم ١٧٩-٢٢٣

النِّظَامُ القَضَائِي في المَدِينَة واخْتِصَاصَاتُه (١٢٢٨-١٢٧٧هـ)
باسم بن أمين البدري ٢٢٥-٢٧٠

على هَامِش مُؤْتَمَر لَنْدَن يناير ـ فبراير ١٩٤٧م بشَأن المُشْكِلَة الفِلَسْطِينِيَّة
حسام حسين حنودة ٢٧١-٣١٠

مِيثَاقُ البانْشِيشْلا وقَضِيَّةُ ارْتِباطِه بمَفْهُومِ التَّعَايُش السِّلمِي
(١٩٥٤-١٩٦٢م)
أَمِيرَة السَّعِيد الطَّنْطاوي محمد ٣١١-٣٥٠

الأَصْلُ الفِينِيقي/ العَرَبي للأَلْبان : من الأُسْطورَة إلى الأَدْلَجَة
محمد م. الأرناؤوط ٣٥١-٣٧٠

القِيمَةُ العِلْمِيَّةُ لمُؤَلَّفَات حَمَد الجَاسِر التَّارِيخِيَّة
يوسف بن متعب بن رجاء الحربي ٣٧١-٤٠٧

A NEW INTERPRETATION OF AN AMBIGUOUS SCENE ON THE FIRST DYNASTY LABELS
MOHAMED MAHMOUD KACEM 5-36

المجلة التاريخية المصرية ٥٢ (٢٠١٨)، ٣٥١ ـ ٣٧٠

الأصْلُ الفِينِيقي/ العَرَبي للألْبان: من الأُسْطورَة إلى الأدْلَجَة

محمد م. الأرناؤوط*

مُلَخَّص

يقوم هذا البحث على التمييز بين الأسطورة myth، التي تتعلق بالتاريخ القديم لشعب ما وتتميز بأحداث خارقة تتدخل فيها الإلهة وقوى الطبيعة، وبين الأسطورة legend التي تروي قصة شخصية ليست حقيقية أو تاريخية بالضرورة ولكنها تصبح كذلك في التراث الشعبي وتوظف لهدف ما في هذا البحث لدينا نموذجان متداخلان من الأولى والثانية تتعلّقان بأصل أحد الشعوب الأوربية (الألبان) والتوظيف الإديولوجي لذلك تقرّبا أو تباعدا من ذلك الأصل المفترض بناء على المتغيرات السياسية أو صعود قوى جديدة في المجتمع.

كلمات مفتاحية: قُدمس، جبلة بن الأيهم، الأصل العربي للألبان، التوظيف الأديولوجي.

This article deals with a myth from Greek mythology about the Phoenician origin of Illirians, ancestors of the Albanians, and a legend from Islamic tradition about the Arab origin of Albanians,

* أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان ـ الأردن.

relating with ideologization of this origin for political purpose in different times.

Ky words: Camus, Djabla Ibn al-Ayham, King Farouk, Ismail Kadare.

مقدمة

ترتبط أصول الشعوب في مرحلة ما بالأساطير myths والشخصيات الأسطورية legends التي تحاول بشكل بدائي أو أوّلي توضيح الموطن الأصلي للشعب وعلاقته مع الشعوب الأخرى. ولكن مع تقدّم العلوم اللغوية والأركيولوجية والتاريخية أمكن التوصل إلى الكشف عن أصول بعض الشعوب التي صاحبتها الأساطير والحكايات الشعبية كما هو الأمر مع الغجر، دون أن يمنع هذا تشكّل أساطير أو اديولوجيات جديدة مبنية عليها[١]. في مرحلة لاحقة قد يصبح موضوع الأصول هدفا للأدلجة، حيث أن الوصول إلى السلطة كان يفترض أحيانا إدّعاء نسب أو نفي نسب آخر، كما كان الأمر مع المماليك الشراكسة في مصر الذين كان يناسبهم إدّعاء الأصل العربي لكي يكتسب وجودهم في السلطة مشروعية في أعين المصريين المسلمين[٢].

---

[١] لدينا في الحكايات الشعبية الغجرية ما يشير إلى وجود قديم للغجر في القدس واشتغالهم بالمهنة الشائعة عنهم (الحدادة) وتعاطفهم مع السيد المسيح ورفضهم صبّ المسامير المطلوبة لصلبه مما أدى إلى تعرض ثلاثة حدادين منهم للقتل، مارلين كليمان: حكايات غجرية، ترجمة زياد العودة، دمشق ـ وزارة الثقافة، ١٩٨٥م، ٣٠ـ ٣٥. وعلى الرغم من أن الدراسات الحديثة أثبتت الموطن الأصلي للغجر (الهند) وأن وجودهم في بلاد الشام ومصر كان ضمن الحركة الكبرى لهم باتجاه البلقان ـ أوربا إلا أنه تشكلت هوية جديدة سياسية (مصرية) للغجر في دول غرب البلقان (مكدونيا وصربيا وكوسوفو وألبانيا) تقول أنهم من أصل مصري، وتشكلت بناء على ذلك أحزاب ومنظمات «مصرية» وأصبح لهم نواب في البرلمان: FAZLI STOLLAJ (ed.), *Gjurmëve të identitit egjiptian,* Pejë 2011.

[٢] للمزيد حول ذلك انظر، محمد ك. الأرناؤوط: «الأصول العربية لبعض الشعوب المسلمة في =

ومن ناحية أخرى تكتسب بعض الشعوب المتجاورة أو المتشابهة في العادات والتقاليد الإعتقاد بوجود أصل مشترك وتبنى عليه الأساطير والروايات الشعبية والأمثال، كما هو الأمر بين الألبان والشركس والأكراد الذين ساد حولهم الاعتقاد بانحدارهم من ثلاثة أخوة كانوا أمراء في بلاد العرب[١]. وفي هذا السياق يبرز اعتقاد مشترك بانحدار الشراكسة والألبان من جبلة بن الأيهم بعد خلافه مع الخليفة عمر بن الخطاب ومغادرته مع جماعته باتجاه بلاد الروم/ بيزنطة، حيث بقي هذا الشعور بالانتساب إلى الغساسنة قويا لدى المماليك الشراكسة في مصر حتى القرن السابع عشر[٢] أي حين زارها الرحالة العثماني اوليا جلبي الذي «وثق» أيضا خلال رحلته انحدار الألبان من نسل جبلة بن الأيهم كما سنرى لاحقا.

= أوربا (التاريخ ـ الخيال ـ السياسة) : الشراكسة»، مجلة المنارة ـ جامعة آل البيت، مجلد ٢ عدد ١ (١٩٩٧م)، ٦٥ـ ٨٢.

(١) حسين مجيب المصري : صلات بين العرب والفرس والترك، القاهرة ١٩٧١م، ٣٠٨.

(٢) وردت رواية انحدار الشراكسة من جبلة بن الأيهم لأول مرة لدى ابن خلدون (توفي ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) الذي كان على علاقة جيدة مع الأمير برقوق المؤسس لـ «دولة الشراكسة» في ١٣٨٢م، التي كانت تعطيه مشروعية جديدة بالمقارنة مع المماليك الأتراك الذين أبعدهم عن السلطنة. وحسب ابن خلدون فإن الغساسنة الذين رحلوا عن بلادهم مع جبلة بن الأيهم «يئسوا من الرجوع لبلادهم» فـ«تحالفوا مع الشراكسة بعد أن نزلوا في جوارهم» و «خالطوهم بالنسب والصهر» : ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت ١٩٧١م، ٥: ٤٧٢. وفي عهد السلطان المملوكي الأخير (١٥١١ـ١٥١٦م) تم تكريس هذه الرواية عن الأصل الغساني للشراكسة في مجالس الغوري، مع تغيير اسم جبلة بن الأيهم إلى «صاركس» حتى ينسجم أكثر مع اسم الشراكسة : عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري ـ صفحة من تاريخ مصر في القرن العاشر الهجري، القاهرة ١٩٤١م، ص ٨٥. ومع انبعاث سلطة المماليك في مصر خلال الحكم العثماني في القرن السابع عشر مع بروز رضوان بك أمير الحج ظهرت رواية جديدة مع رسالة «قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة من قريش» التي سعت إلى إعطاء الشراكسة نسبا أسمى يربطهم بقريش ويعطيهم مشروعية أعلى لأي منصب : P. M. HOLT, «The Exalted lineage of Ridwan Bey», *BSOAS* XXII, 2, London 1959, pp.220-230.

وفيما يتعلق بالألبان تحديدا نجد أنه حتى نهاية القرن السابع عشر، أي حين بدأت الأبحاث اللغوية والتاريخية الحديثة حول أصولهم، لدينا ثلاثة اعتقادات ولّدت روايات شعبية مختلفة:

١ـ انحدار الألبان من أصل فينيقي (من قُدم أو قَدموس ابن ملك صور الذي استقر في غرب البلقان وأنجب إلير أو إليريوس) أو من أصل مشترك مع الفينيقيين حيث كانوا يعيشون معا على شواطىء البحر الأحمر.

٢ـ انحدار الألبان والأكراد والشركس من ثلاثة أمراء كانوا يعيشون في بلاد العرب ثم تفرقوا نحو الجهات التي ظهرت فيها الشعوب الثلاث (الجزيرة والقوقاز والبلقان).

٣ـ انحدار الألبان من الغساسنة، وبالتحديد من نسل جبلة بن الأيهم بعد استقراره في جنوب ألبانيا الحالية التي دفن فيها برواية لأوليا جلبي الذي شاهد الألبان يزورون ضريحه هناك.

العلاقات التاريخية بين المشرق والبلقان

بفضل الاكتشافات الاركيولوجية في العقود الأخيرة أصبح من الواضح وجود صلات مبكرة بين الفينيقيين والآراميين وبين شعوب البلقان، وبشكل خاص بين الفينيقيين والإليريين أسلاف الألبانيين كما هو شائع، وهو ما انعكس على انتشار عبادة بعض الآلهة الفينيقية بين الإليريين الذين كانوا ينتشرون في غرب البلقان. وفي هذا السياق فقد انتشرت بشكل خاص عبادة الإلهة أتارتاغيس Atartagis، التي تعود في أصلها اللغوي والديني إلى آلهة الخصب عشتار عند الفينيقيين. فقد أصبحت اتارتاغيس إلهة الأرض والخصب والطبيعة والماء والحظ بعد أن انتشرت عبادتها خلال الحكم الروماني باسم «الإلهة السورية» Dea Syria. وقد دلّت المكتشفات الأركيولوجية في ١٩٤٨ و١٩٦٧م على أن مدينة سكوبي Scopi

(سكوبيه الحالية عاصمة جمهورية مكدونيا) كانت مركز عبادة الآلهة أتارتاغيس[١] . وحسب الباحثين في هذا المجال فإنّ عبادة هذه الإلهة انتقلت من المشرق إلى البلقان خلال الحكم المكدوني ـ السلوقي مع التجار والعبيد ، وانتشرت أكثر خلال الحكم الروماني لأنّ هذا الدور أصبح يقوم به الجنود الرومان[٢] . ومن مكدونيا امتدت عبادة هذه الإلهة إلى اليونان المجاورة ، حيث بني لها هيكل كبير في مدينة إفسس ، ومنها امتدت عبادتها إلى صقلية وروما والأجزاء الشمالية من الامبراطورية حيث عرفت هناك بأسماء مختلفة : عشتار Ishtar واستارت Astrate وهيرا Hera الخ[٣] .

وخلال العمل في هذا البحث تمّ الإعلان عن اكتشاف أثري مهم في أقصى شرق صربيا قرب الحدود مع رومانيا ، بالقرب من بقايا مدينة فيميناتسيوم Viminacium التي كانت عاصمة المقاطعة الرومانية ميزيا العليا Moesia superior في القرن الأول الميلادي وأصبحت تمثل تداخل المثلث الكلتي ـ التراقي ـ الإليري . فقد عثر في هذا الموقع خلال الاستعداد لبناء محطة كهرباء على تعاويذ محفورة في ألواح صغيرة من الذهب والفضة بجانب هياكل عظمية دُفنت قبل ألفي عام تقريبا . وحسب رئيس الفريق الذي توصل إلى هذا الكشف ميومير كوراتش M. KORAC فإن «الحروف يونانية ولكن اللغة آرامية ، وهو لغز من الشرق الأوسط بالنسبة لنا» وهي تشمل أسماء آلهة آشورية وبابلية ومصرية[٤] . ومع هذا

---

(1) NASER FERRI, *Mythologia Viva-Metologjia e gjallë*, Prishtinë (Instituti albanologjik) 2012, p.163.

(2) NASER FERRI, «Ancient myths and cults in Western Balkans originaly from Middle East» in Mufaku-Arnaut (ed.), *Arab-Balkan Realations: Past-Present-Future,* Doha-Prishtina (FAIR-Ibn Sina) 2015, p.21.

(3) FERRI, *Methologia Viva,* p.164.

(4) TANJA RUDEZ, «Otkrice Srpskih arheologa», *Jutarnji list* 15.8.2016.

الاكتشاف يتضح الآن أن الصلات بين المشرق والبلقان استمرت بعد أن انحسرت الفينيقية وأصبحت الآرامية (التي استمدت أبجديتها من الفينيقية وليس من اليونانية) هي اللغة الشائعة في المشرق حتى ظهور المسيحية ، التي انتقلت بدورها إلى البلقان لتحدث تغييرا كبيرا في المجال الديني/ الثقافي[١] .

الأسطورة

بالاستناد إلى هذه الخلفية يمكن فهم الأسطورة الأولى التي نعرفها لتفسير هذه الصلات المبكّرة بين الفينيقيين وغرب البلقان . وتقول هذه الأسطورة أن قُدم أو قدموس CADMUS ابن ملك صور الفينيقي أغنور استجاب لطلب أبيه للذهاب نحو الغرب للبحث عن أخته أوربا (التي تعني الغرب في الفينيقية) بعد أن خطفها الإله زيوس من شاطىء صور . وبعد أن جال ويأس من العثور عليها اختار مكانا مناسبا في سهل فيوتيا شمال غرب اثينا ليؤسّس فيه مدينة طيبة Thebes بعد أن تزوج من هارمونيا HARMONIA ابنة إله الحرب أريس Ares وإلهة الحب أفروديت Aphrodite التي ولدت له إلير ILIR أو إليريوس ILLYRIUS بعد أن رحل شمالا إلى المنطقة التي سُميت «إليريا» على اسم ابنه الذي أصبح ينتسب له الإليريون Illyrians الذين انتشروا في غرب البلقان . وقد نسب إلى قَدموس الفضل بتحضير المنطقة بعد أن علم السكان هناك أبجديدة جديدة (فينيقية) تتألف من ستة عشر حرفا[٢] . ويبيّن هنا الباحث المعروف والتر بوركت في كتابه المرجعي «ثورة التشرّق

---

[١] انظر تأثير ذلك على الكنيسة الصربية الأرثوذكسية على سبيل المثال ، محمد م. الأرناؤوط : دراسات في الصلات العربية البلقانية خلال التاريخ الوسيط والحديث ، بيروت ـ جداول ٢٠١٢م ، ٧٥ـ٨٣.

[2] H. SPENCER ROBINSON-KNOX WILSON, *Myths and Legends of All Nations,* Totowa-New Jersey (Littlefield, Adams & Co.) 1981, pp.98-99; ALEKSANDER STIPCEVIC, *Iliri,* Zagreb 1974, p.19.

ـ تأثير الشرق الأدنى على العصر القديم المبكر» أن الإشارة إلى الفينيقيين في بلاد اليونان القديمة كانت تشمل الممالك الفينيقية (جبيل وصور وصيدا) كما يمكن أن تشمل الفينيقيين والآراميين في شمال سورية ، كما أن الأمر لا يتعلق بتعليم قدموس الحروف الجديدة لليونان القدماء (الذين طوروا هذه الأبجدية ونشروها في أوربا) وإنما بانتقال طريقة تعلم القراءة والكتابة في هذه الأبجدية إلى بلاد اليونان[١] .

ويبدو أنه مع الفتح العثماني للبلقان منذ منتصف القرن الرابع عشر ، الذي امتدّ بالتدريج ليصل إلى الساحل الأدرياتيكي ، حيث انتشر الإسلام بشكل خاص بين الألبان أحفاد الإليريين الذين شاركوا لاحقا مع الجيش العثماني في فتح البلاد العربية وأصبحوا ضمن الهيكل الإداري/ العسكري الحاكم هناك ، برزت الحاجة إلى «أسلمة» الأسطورة ليحلّ فيها جبلة بن الأيهم العربي محل قُدمس الفينيقي .

وفي الواقع لدينا أولى المعطيات عن الألبان وبلادهم ، التي أصبحت تُعرف تحت تأثير الأتراك باسم «بلاد الأرناؤود»[٢] عند المؤرخين العرب في النصف الثاني

---

(1) WALTER BURKERT, *Orientalizing Revolution - The Eastern Influence on Greek Culture in the early Archaic Age*, translated by M. E. PENDER & W. BURKERT, Cambridge-Massachusetts (Harvard University Press) 1992, p.92.

(٢) تعرّف الأتراك على ألبانيا والألبان مبكرا نتيجة لتحالفهم مع الامبراطور البيزنطي اندرونيكوس الثالث . فعندما اندلعت الحرب الأهلية في بيزنطة استغل بعض أمراء الألبان هذه الفرصة لتوسيع سيطرتهم عب النواحي المجاورة لهم ، ولذلك استعان الامبراطور بأمير آيدين أمور بك لإخضاع هؤلاء الأمراء واستعادة سيطرة بيزنطة على ألبانيا حتى الساحل الأدرياتيكي . ويبدو أن الأتراك أخذوا بالاسم الذي كان يطلق في اليونانية على الألبان (أرفان وأرفانيتاي) وبقي هذا الاسم شائعا عند الأتراك أكثر من قرن ، وبالتحديد حتى ١٤٣٢م ، حين أصدرت الإدارة العثمانية أول دفتر تحرير لسناجق «اروانيد ايلي» (بلاد اروانيد) الذي يرد فيه أيضا (ص ١) اسم «اروانيه» أو Arvanya لألبانيا على اعتبار أن التركية لا يوجد فيها حرف خاص لصوت v. وفيما بعد طرأ إقلاب لغوي على هذا الاسم فأصبح «ارناوود» ووضعت الهمزة فوق الواو الأولى لاحقا ثم تحولت الدال إلى حرف التاء حينا أو إلى حرف الطاء ليقرأ بشكل مختلف ، وأصبحت ألبانيا=

للقرن السادس عشر، أي بعدما أصبح العرب والألبان في دولة واحدة. ومن هؤلاء نجد أن قاضي حلب مصطفى الجنابي (توفي ١٥٩٠م) في تاريخه يعرّفهم بأنهم «جيل من النصارى لهم صبر على الأعمال الشاقة، وجدّ في التحصيل والكسب، ومساكنهم في جبال وعرة وأراض صعبة متاخمة لبلاد بوسنة وبلاد وندیك»[١]. ولكن المعلومة الأهم ترد لاحقا عند المؤرخ الصفاقصي محمود مقديش (١٧٤٢-١٨١٣م) الذي يكرّر ما ورد عند الجنابي بقوله: «صنف من النصارى يصبرون على المحن ويتكلّفون الأعمال الشاقة»، ثم يورد رأيين حول أصلهم: «قيل أصلهم من عرب الشام من بني غسان، ارتحلوا من الشام بعدما فتحها الإسلام فقدموا إلى هذه البلاد فتوطنوا فيها فازدادوا وكثروا» و«قيل هم طائفة من عرب البربر عبروا البحر إلى هذا الصوب مع يعقوب بن منصور الموحّدي فبقوا فيها مدة، ولم يزالوا بها حتى غلب الجهل وتنصّروا»[٢]. وقد أخذ هذه الجملة المؤرخ الحجازي أحمد بن زيني دحلان (١٨١٦-١٨٨٦م) في كتابه «الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية» حين تحدث عن «ذكر الغزو إلى بلاد الصرب والبوسنا والأرناؤوط» فقال إنهم «صنف من النصارى يتصبرون على المحن ويكلفون الأعمال الشاقة قيل أصلهم من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعدما أتى الله بالإسلام فقدموا من الشام وتوطنوا هذه البلاد. وقيل

=تسمى «بلاد أرناؤود» أو «ارناؤوطلق»: للمزيد حول هذا انظر مقالة خليل اينالجيك في «الموسوعة الإسلامية» مع أهم المصادر والمراجع: HALIL INALCIK, «Arnawutluk», *The Encyclopaedia of Islam,* Vol. I, Leiden-Lpndon 1960, pp.651-658.

[١] الجنابي: المنتخب من تاريخ الجنابي، اختصره أحمد بن محمد ابن الملا (توفي ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م)، دراسة وتحقيق رابعه مزهر شاكر، اربد ـ عمان ـ مؤسسة حمادة ـ دار اليازوري ٢٠١٢م، ١٥٦.

[٢] محمود مقديش: نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م، ٢: ٣٠-٣١.

أصلهم من البربر عبروا البحر من المغرب إلى هذا الصوب ثم غلب عليهم الجهل فتنصّروا»[١] .

وفي غضون ذلك كانت قد راجت في المجال العثماني الرواية الجديدة عن الأصل العربي للألبان التي حلّ فيها جبلة بن الأيهم محل قُدمس بواسطة الرحالة العثماني المعروف أوليا جلبي (١٦١١ أو ١٦١٦-١٦٨٤م) . ففي كتابه «سياحت نامه» يتناول جلبي هذه الرواية عن أصل الألبان في القسم المتعلق بزيارته إلى بلادهم (ج٣) وقبل ذلك في القسم المتعلق بزيارته إلى بلاد الشركس أيضا (ج٢) . فعندما وصل في ١٦٧٠م إلى قلعة/ بلدة دلفينا Devina، في أقصى جنوب ألبانيا الحالية ، في طريقه إلى فلورا Vlora على الساحل الأدرياتيكي اكتشف هناك عالم الألبان المختلف بلغته وعاداته وتقاليده ، ولذلك يتوقف هنا ليورد الرواية التالية عن «أصل الألبان» :

«أولئك ينحدرون من قريش . اشتهر منهم شيخ عشيرة عربي اسمه جبلة بن الأيهم ، الذي فقأ دونما قصد عين أحد البكوات العرب فذهب عند الخليفة عمر وطلب منه تنفيذ العقاب على جبلة بن الأيهم حسبما نصّت الآية القرآنية ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة : ٤٥] . ولخشيته من أن يبقى أعمى فقد رحل جبلة بن الأيهم إلى أنطاكية مع ثلاثين ألف من عشيرته . وبعد أن طلب اللجوء من الحاكم هرقل منحه جبال «جبلة» التي سمّيت كذلك نسبة إليه... وحين عرف (الخليفة) عمر أن جبلة بن الأيهم وجد ملاذا عند هرقل وترك الإسلام أرسل جيشا مؤلفا من أربعين ألف مقاتل بقيادة عمر بن عبد العزيز وخالد بن الوليد وأسود بن مقداد.. وبسبب خشيته من الخليفة عمر لم يستطع

---

[١] أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، القاهرة ـ المكتبة التجارية ، ٢: ١٣٠.

جبلة بن الأيهم البقاء هناك ، وبعد طول تجوال وصل عند ملك اسبانيا. وعندما قيل له أنه من قريش منحه الجبال الخالية من السكان حوالي دلفينا التي ذكرناها. وبعد عدة أجيال انتشروا (الألبان) في تلك الجبال الحادة وأخذوا يتكلمون لغتهم. ولكي لا يعاقبون بفقأ عيونهم انتشر بينهم القول «عارنبود» (لم يكن عارا). ونظرا لكونهم من قريش فقد دعيت الجبال التي نزلوا فيها كوريلش نسبة إلى قريش»[1] .

وبعد أن تابع جلبي رحلته نحو ألبانيا الوسطى ووصل إلى مدينة إلباسان Elbasan، التي يصفها بأنها «عروس ألبانيا» ، وجد في ضواحيها ضريحا لجبلة بن الأيهم يحرص «كل الألبان» على زيارته «إعتقادا منهم أنه الجدّ الأعلى لهم» . وهنا يعود جلبي ليورد قصة جبلة بن الأيهم بعناصر جديدة ومختلفة عن الرواية الأولى :

«كان جبلة بن الأيهم من قبيلة قريش وأحد أصحاب النبي المقدّس . شارك في غزوات أُحد وتبوك وخيبر وبدر وحنين . شارك في معارك أخرى وكان مقاتلا وزعيما عربيا شجاعا ، وكان يقدم للرسول المقدس رؤوس وألسنة الأسرى .... رحل (من جبلة) بالسفن إلى ملك اسبانيا الذي منحه للإقامة جبال دوكات Dukat وبروغانات Proganat في المناطق الألبانية المجاورة لفلورا ودلفينا ، التي كانت آنذاك تحت حكم ملك اسبانيا . هذه النواحي كانت غير مسكونة ، ولذلك لم يمض وقت طويل على استقراره هناك واختلاطه مع الفرنجة حتى أصبح لسلالته لغتهم الألبانية التي هي خليط من الفرنجية والعربية . أما البلد الذي نزلوا فيه بالبداية ، ولا يزالون يقيمون فيه بعد أجيال كثيرة ، فيدعى الآن جبل كوريليش نظرا لأنهم من قريش العربية . ولهذا السبب فإنّ الألبان يفتخرون اليوم بأنهم ينحدرون من قريش ومن صحابة الرسول . ومع أن جبلة بن الأيهم توفي مسلما ودفن حسب وصيته فقد اختلط أحفاده بالزواج مع الفرنجة الكفار وأصبحوا مثلهم

---

(1) ROBET ELSIE (ed.), *Evlija Celebiu në Shqipëri dhe në viset fqinje: Kosovë.Mal i Zi,Ohër, përkthyer nga Abdurrahim Myftiu,* Tiranë (55) 2008, pp.48-50.

كفارا ... ترك الكثير من الألبان دينهم قبل أن يأتي محمد الفاتح . حين قام العثمانيون فيما بعد بفتح شكودرا وقلعة ايلبصان هذه وفلورا ودلفينا وغيرها عادت كل ألبانيا إلى الإسلام باستثناء سكان كلمندى Kelmemdi والجبل الأسود وكوريليش الذين يستمرون في مقاومتهم لذلك يقولون «نرجو من الله ألا يكون جبلة بن الأيهم قد أصبح مسلما» . ولكن يرد في «التحفة»[١] أنه بالفعل قد اعتنق الإسلام ، وحتى أنه عندما لجأ إلى هرقل لم يشارك في القتال معه ضد صحابة الرسول عندما توجهوا لقتال الكفار بل كان يساعدهم خفية.. ولأجل ذلك يعتقد الألبان أن جبلة بن الأيهم كان من صحابة الرسول وتوفي مسلما»[٢] . ومن ناحية أخرى يضيف اوليا جلبي وهو يجول في جنوب ألبانيا التي استقر فيها جبلة بن الأيهم ملاحظته عن وجود مشاعر علوية بين الألبان هناك تُعلي من شأن الإمام علي بن أبي طالب وتشتم معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ، وذلك نتيجة لانتشار الطريقة البكتاشية[٣] .

ومع المقارنة بين هاتين الروايتين يبدو هنا ما يؤخذ على أوليا جلبي من الميل إلى الخيال وتضخيم بعض الأحداث وحتى إختلاق بعض الوقائع مثل رؤيته للألبان يزورون ضريح جبلة بن الأيهم ، وهو «الضريح» الذي لم نعثر عليه في المصادر السابقة أو المعاصرة أو اللاحقة . وهنا لا يقدّم اوليا جلبي أي تفسير عن وجود ضريح لجبلة بن الأيهم في وسط ألبانيا على حين أنه أوضح في الروايتين أن جبلة بن الأيهم وجماعته نزلوا واستقروا في أقصى جنوب ألبانيا ، في المرتفعات الممتدة بين دلفينا وفلورا. وحتى فيما يتعلق بجبلة بن الأيهم ، الذي يصبح فجأة من صحابة

---

[١] يقصد جلبي هنا كتاب «تحفة التواريخ» ، ولكن لدينا عدة مؤلفات بهذا العنوان ، ولا نعرف هنا بعد إلى أي واحد يشير .

[2] EVLIJA CELEBIU, pp.123-125.

[3] *Ibid.*, pp.

الرسول ومن المشاركين في أهم المعارك (بدر وأحد وتبوك وخيبر) ، لا يكشف لنا اوليا جلبي عن مصدر معلوماته حول انتقاله من جبلة إلى جنوب ألبانيا واستقراره هناك ، بل يكتفي بربط بعض أسماء المدن (جبلة) أو الجبال (كوريليش التي يعتقد أنها محوّرة من قريش) لتناسب انتقال جبلة ابن الأيهم من الساحل الشامي إلى الساحل الألباني. ومن الواضح هنا أن نقص الخلفية العلمية عند أوليا جلبي جعلته يميل إلى تعميمات سطحية . ففي الوقت الذي بدأت فيه الدراسات الحديثة في أوربا عن اللغة لألبانية للوصول إلى لغز أصل الألبان وعلاقتهم بغيرهم من الشعوب المجاورة نجد أن اوليا جلبي يسارع إلى نسبة الاسم الجديد للألبان (ارنود) إلى تعبير «عارنبود» الفارسي[١] ، ويكتفي بعد أن لاحظ وجود مفردات عربية كثيرة في الألبانية أن يصل إلى تفسير سطحي يقول ببساطة أن «اللغة الألبانية هي خليط بين العربية والفرنجية» ، وهو ما يناسب أكثر روايته عن قدوم جبلة بن الأيهم واستقراره في ألبانيا حيث اختلط أحفاده مع السكان الأصليين وولد من هذا الاختلاط الألبان[٢] .

ويبدو أن رواية اوليا جلبي تسربت فيما بعد إلى الألبان في الشمال مع إضافات جديدة . فقد سجّل الدبلوماسي النمساوي يوهان ج. هان J.H.HAHN (١٨١١-١٨٦٩م) ، الذي يعتبر مؤسس الدراسات الألبانية الحديثة ، في كتابه

---

[١] تعرّض المؤرخ العراقي عباس العزاوي إلى هذه الرواية (عارنبود) وإلى الرواية الأخرى (عار أن نعود) التي تفسّر الاسم الجديد للألبان (ارنود) والتي انتشرت في العراق أيضا ورفضهما بشكل قاطع : عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٤٩م ، ١: ٤٨-٤٩.

[٢] يفوت جلبي هنا أنه كما أن العثمانية تقبّلت آلاف المفردات العربية كذلك كان الأمر مع اللغة الألبانية التي تشبعت بكثير من المفردات العربية مع تحول غالبية الألبان إلى الإسلام خلال الحكم العثماني الطويل الذي استمر أكثر من ٥٠٠ سنة . للمزيد حول «تشرق» اللغة الألبانية انظر ، محمد موفاكو : الثقافة الألبانية في الأبحدية العربية ، الكويت ـ سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٣م .

«رحلات عبر نواحي نهري درين وفردار» (التي تشمل كوسوفو ومكدونيا الغربية حاليا) رواية بين الألبان تقول أن الألبان كانوا فيما مضى يعيشون قرب البحر الأحمر . وفي أحد الأيام داس زعيم لهم على قفطان ملك عربي ، وهو ما أدى إلى يخرج الاثنان إلى ساحة المبارزة ، حيث تمكن الألباني من أن يفقأ عين الملك العربي . ولكي يتجنب العقاب سارع الألباني إلى الرحيل بعشيرته خلال الليل إلى بلاد الروم[1].

وبالاستناد إلى أوليا جلبي تطورت هذه الرواية عند المؤرخ السوري محمد غالب الطويل في كتابه «تاريخ العلويين» الذي صدر في اللاذقية ١٩٢٤م، حيث لدينا صورة أكثر دقة عن جبلة بن الأيهم باعتباره آخر أمراء غسان الذي اعتنق الإسلام مع قبيلته المستقرة في حوران عام ١٤ للهجرة أي بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام وعن ذهابه للحج في العام اللاحق وعن صفعه لإعرابي داس على إزاره مما تسبب في فقأ عينه ، واعتراضه على حكم الخليفة عمر بن الخطاب بحق الإعرابي في القصاص ومغادرته ليلا لتفادى تنفيذ القصاص باتجاه بلاد الروم. ولكن في بقية الرواية يعتمد الطويل على ما ورد عند اوليا جلبي مع بعض الإضافات التي تناسب واقع الحال في سوريا. فمن ناحية يأخذ الطويل بما أورده جلبي عن توجّه جبلة بن الأيهم إلى مدينة بيلا Pela على شاطىء المتوسط التي أخذت اسمه فأصبحت جبلة . وبالاستناد إلى ذلك يحاول الطويل ربط هذه الرواية المشكوك فيها (استقرار جبلة بن الأيهم في بيلا التي أصبحت تسمى باسمه) بالحاضر بعد أن تشكلت «دولة العلويين» مع الانتداب الفرنسي بالقول إنه «تولّد بغض عند أصحاب جبلة ثم أنهم التحقوا بالحزب المعارض لعمر ، وأصبح سكان الجبال المجاورة لجبلة من أتباع علي سياسيا» ، وهو ما يفسّر «كثرة وجود العلويين في

---

(1) J. G. HAN, *Putovanje kroz proicivu Dirma i Vardara,* Beograd 1876, p.21.

ضواحي قصبة جبلة»[١] . ولكن في رواية أخرى لديه يظهر أن جبلة ابن الأيهم «هاجر إلى القسطنطينية وهاجر بعض أصحابه إلى بلاد الألبان» ، ولما جاء رسول من الخليفة عمر بن الخطاب إلى ملك الروم التقى بجبلة بن الأيهم وحثّه على العودة ، ولكن ابن الأيهم قال «عار أن نعود» التي تحوّلت إلى «أرناؤوط» التي تعني الألبان . ولكن الطويل يسارع إلى القول «أن الألبان لم يكونوا عربا وإنما نزح بعض حاشية جبلة إلى بلادهم واختلطوا بهم» ، وهو ما يفسّر أيضا وجود العلويين في جنوب ألبانيا باعتبارهم «من نسل أولئك العرب القدماء» على ما ذهب إليه سابقا اوليا جلبي[٢] .

وفي الوقت الذي كان فيه الطويل يؤلف كتابه كان الاهتمام بالروايات الشعبية عن أصل الألبان يثير اهتمام الباحثين الصرب في يوغسلافيا ، التي تشكلت في ١٩١٨م وضمّت حوالي نصف الألبان بينما ضمّ النصف الأخر ألبانيا المجاورة . فمع أن الدافع إلى الاهتمام بهذه الروايات الشعبية كان سياسيا ليثبت أن هؤلاء الألبان جاؤوا إلى سهل كوسوفو من شمال ألبانيا المجاورة إلا أن هذه الروايات كشفت عن أن الموطن الأصلي للألبان هو الحجاز . وكان أول من اهتم بذاك الباحث الصربي أتاناسيه اوروشفيتش A.UROSEVIC في ١٩٢٩م الذي سجّل عدة روايات من كبار السن في منطقة جيلان (شرق كوسوفو)، حيث يلاحظ أن المشترك في هذه الروايات هو الخليفة عمر بن الخطاب باستثناء واحدة منها . ففي رواية يرد أن عربيا من قبيلة الخليفة عمر بن الخطاب قتل أحدا فخاف من العقاب وهرب إلى أن وصل إلى شمال ألبانيا (شكودرا) حيث أقام وانحدر منه الألبان . وفي الثانية يرد أن عربيا سرق ناقة للخليفة عمر فأمسك به رجال الخليفة وصفعوه

---

(١) محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين ، ط ٢، بيروت ـ دار الأندلس ١٩٦٦م ، ٥٢ـ٥٣.

(٢) المرجع السابق ، ٥٤.

فلم يحتمل الإهانة فغادر بلده واستمر في الترحال إلى أن وصل إلى شكودرا . ولكن اختيار المكان هنا (قلعة شكودرا Shkodra التي نشأت حولها مدينة مزدهرة) ، الذي يذكّر باختيار قُدمس والقلعة التي بناها في موقع طيبة التي لاتزال تسمى باسمه ، يرتبط حسب اروشفيش بالشريحة المسيحية للألبان مابين الوثنية التي كان رمزها قُدمس ومابين الإسلام الذي أصبح رمزه جبلة بن الأيهم . ففي القرون الوسطى أطلق على قلعة شكودرا اسم الرصافة Rosafa تيمّنا بالرصافة السورية التي استشهد فيها القديسان سرجيوس وباخوس[١] .

ولكن الباحث الصربي المعروف غليشا الزوفيتش G.ELEZOVIC في مساهمته المنشورة في ١٩٣١ يؤكد على دور الإسلام في هذا التحول الذي أصبح فيه الألبان على صلة وثيقة بالعرب والبلاد العربية بسبب الخدمة العسكرية والتجارة والدراسة والحج حتى أن مصر واليمن والشام أصبحت أقرب للألبان من روما وفيينا[٢]. ومن ناحية أخرى يؤكد الزوفيتش على دور الكتّاب المسلمين في نقل مثل هذه الآراء إلى التراث الشعبي الألباني ، ويستشهد بما ورد لدى الرحالة أوليا جلبي الذي أشاع أسطورة الأصل العربي للألبان وارتباط ذلك بشخصية تاريخية معروفة مثل جبلة بن الأيهم[٣] .

وخلال يوغسلافيا الجمهورية ، التي انفتحت أكثر على العالم العربي في إطار حركة عدم الانحياز ، استمر الاهتمام بهذا التراث الشعبي الألباني . ففي ١٩٥٦م نشر الباحث الألباني/ اليوغسلافي حسن كلشي H.KALESHI مقالة مطولة بعنوان «أسطورة شرقية حول أصل الألبان» استعرض فيها ماوصل اليه أروشفيتش

---

(1) ATANASIJE UROSOVIC, *Jedna tradicija o poreklu Albanasa,* Glasnik Skopskog naucnog drustva, knj.V, sv.2, 1929, p.311.

(2) GLISA ELOZOVIC, *Islamske price o arapskom pokretu: Arnauta, Laza, Abaza icerkeza,* Gasnik Skopskog naucnog drustva, knj.XV, sv.9, 1936, p.255.

(3) *Ibid.*, pp.256-257.

والزوفيتش وأضاف رواية ثالثة سجلها في منطقة فوشترن Vuçitern (وسط كوسوفو) من ألباني عجوز. وحسب هذه الرواية فقد أرتكب أحد قادة الخليفة عمر بن الخطاب ذنبا ما مما جعله يقرر الابتعاد عن البلاد مع عشيرته، واستمر في الترحال إلى أن وصل إلى شكودرا فاستقر به المقام هناك. ولما أرسل له الخليفة خبرا لكي يعود ثانية أجابه في العربية «عار أن نعود»، وهي التي تحوّلت مع الزمن إلى اسم للشعب الألباني: أرنؤود أو أرناؤود[١].

وقد استمر الاهتمام بهذا التراث حتى أواخر أيام يوغسلافيا التيتوية حيث نوقشت في جامعة بريشتينا عام ١٩٨٦م رسالة دكتوراة عن العلاقات التاريخية الألبانية ـ العربية، حيث وردت الإشارة إلى رواية أخرى سجلها الباحث عام ١٩٨١م في قرية قرب مدينة بودييفو Podijevo (شمال كوسوفا) من عجوز أمي في الثمانين من عمره. وفي هذه الرواية لا نجد إلا فرقا بسيطا عن الرواية الأخيرة التي سجّلها كلشي في ١٩٥٥م، حين أن يحلّ هنا «أمير عربي» محل «أحد قواد الخليفة» وينتهي به المقام أيضا في شكودرا[٢].

الأدلجة

مع أن أصل الشعوب وتجلياته في التراث المحلي من الموضوعات التي تشغل علماء الانثروبولوجيا والتاريخ والفولكلور إلا أنه يتحول إلى هدف للأدلجة في بعض الأحيان، كما هو الأمر في حالة «الأصل العربي» للألبان التي تبدو في ظرفين تاريخيين مختلفين: الأول في مصر الملكية و الثاني في ألبانيا ما بعد الشيوعية.

---

(1) HASAN KALESHI, *Nji legjende orientale mbi prejardhjen e shqiptareve,* Flaka e vllaznimit, Shkup 2.4.1956, p.11.

(2) MUHAMED MUFAKU, *Shqiptaret ne boten arabe,* Prishtine (Rilindja) 1990, pp.13, 16.

أما فيما يتعلق بمصر فقد برزت بعد تولي الملك فاروق لصلاحياته الدستورية في ١٩٣٧م ، حين ألقى شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي في يوم تنصيب الملك ٣١ تموز ١٩٣٧م بيانا غير مألوف في بلد يحكمه دستور علماني جاء فيه «إن الدستور الوحيد الحقيقي هو القرآن ، والملك الدستوري الحقيقي الوحيد هو الملك الصالح» ، وهو ما روّج منذ ذلك الحين لمشروع الخلافة بتأييد من الأزهر والإخوان المسلمين[١] . وقد كان لهذا السعي لإحياء منصب الخلافة صداه في الدول المعنية ، ومن ذلك تركيا التي كانت قد ألغت الخلافة في ١٩٢٤م وبقيت فيها مظاهر الحنين لها في الأوساط المعارضة لكمال أتاتورك . فعندما قام الملك فاروق في كانون الثاني ١٩٣٩م بالصلاة في الأزهر وهتف له المصلّون «ليحيى خليفة المسلمين» وصلت الرسالة منها إلى تركيا . فقد نشرت الصحافة أن «المقامات التركية العليمة شديدة التحفظ في صدد الأنباء الواردة فيما يتعلق بالملك فاروق والخلافة» ، وهي تبدي مع ذلك تشكيكا في شرعية مثل هذا الخليفة «لأن الخليفة يجب أن يختاره العالم الإسلامي أجمع ، وأن يكون ملكا تام الاستقلال ، وأن يمتّ بصلة النسب إلى آل البيت النبوي»[٢] .

ومن هنا فقد وُجد من يوفّق الآن بين انتماء الملك فاروق إلى أسرة محمد علي باشا الألبانية وبين انتمائه إلى العرب أيضا . وحسب مذكرات عادل ثابت المقرب من الملك فاروق فقد كان يقف في خلفية هذا المشروع للخلافة ثلاثة شخصيات

---

[١] عادل ثابت : فاروق الأول الملك الذي غدر به الجميع ، نقله إلى العربية حمد مصطفى غنيم ، ط ٣، القاهرة ـ أخبار اليوم ١٩٨٩م ، ٨٨. وانظر للمزيد لطيفة محمد سالم : فاروق من الميلاد إلى الرحيل ، ط ٣، القاهرة ـ دار الشروق ٢٠١٠م ، ٥٩٩ـ٦٢٣؛ أمل فهمي : الملك فاروق والخلافة الإسلامية ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م .

[٢] الملك فاروق الخلافة : أقوال صحيفة تركية ، جريدة «الأهرام» عدد ١٩٥٢٧، القاهرة ١/٢٣/ ١٩٣٩م .

تقاسمت الأدوار : شيخ الأزهر محمد المراغي والسياسي المخضرم علي ماهر باشا والدبلوماسي المخضرم عبد الرحمن عزام باشا الذي كانت له صلاته في الدول العربية والإسلامية[١] . وتجدر الإشارة هنا إلى أن عزام كان قد ذهب إلى البلقان في ١٩١٣م وشبك صلة خاصة مع زعماء الألبان إبان إعلان استقلالهم عن الدولة العثمانية ونال تأييدهم لترشيح الأمير فؤاد (والد الملك فاروق) ملكا على ألبانيا[٢] . وفي هذا السياق ، أي بعد تحفظ البعض على نسب الملك فاروق الألباني ، نشر عبد الرحمن عزام بعض ذكرياته عن «بلاد الأرناؤوط» في نيسان ١٩٣٩م ركّز فيها على الأصل العربي للألبان الذين ينحدرون من جبلة بن الأيهم[٣] . ومن هنا لم يكن بالصدفة أن يصبح عبد الرحمن عزام لاحقا أول أمين عام للجامعة العربية وأن يستمر في خدمة المشروع الجديد للملك فاروق[٤] .

وفيما يتعلق بألبانيا فقد ارتبطت النظرة إلى «الأصل العربي» للألبان بموقف اديولوجي جديد برز مع نهاية الحكم الشيوعي في ١٩٩٢م . وقد ارتبط هذه الموقف بالنزعة الجديدة (الأوربة) التي حملت بعدا اديولوجيا يحمّل الأتراك والعرب والحكم الشيوعي مسؤولية فصل ألبانيا عن محيطها الأوربي .

---

(١) ثابت : فاروق الأول ، ٨٩.

(٢) انظر للمزيد حول دوافع رحلة عزام إلى ألبانيا ونتائجها رالف م. خوري : عزام باشا مصري اعتنق القومية العربية ـ سنوات التكوين المبكرة ، ترجمة معين الإمام ، دمشق ـ المدى ٢٠٠٦م ، ٨٦ـ ٩٩؛ عصام الغريب : عبد الرحمن عزام : الإسلام ـ العروبة ـ الوطنية ، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ٢٠١١م ، ٣٤٣ـ ٣٤٨؛ جميل عارف : صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام ، ط ١ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م ، ٥٥ـ ٦٩.

(٣) عبد الرحمن عزام : أحفاد جبلة بن الأيهم : قبائل الألبان من أصل عربي ، جريدة «الجزيرة» عدد ٧٧٧، دمشق ١٠/٤/١٩٣٩م .

(٤) سالم : فاروق من الميلاد إلى الرحيل ، ٦٤٢ـ ٦٤٣.

وفي هذا السياق برز الروائي المعروف إسماعيل كاداريه بمواقفه العدائية للأتراك والعرب والحكم الشيوعي، مع أنه كان من نجوم العهد الشيوعي في ألبانيا خلال ١٩٧٠ـ١٩٩٠م[١]. ففي مقالة نشرها في جريدة «الفيغارو» في ١٩٩٢م كتب أن «الألبان يدخلون في عداد الشعوب التي عانت من الإسلام والشيوعية»، إذ أنهم «خسروا أوربا في القرن الخامس عشر عندما سقطوا تحت السنابك العثمانية»[٢].

وفي هذا السياق أصبحت سياسة ألبانيا خلال حكم الحزب الشيوعي ورئيسه أنور خوجا ١٩٤٥ـ١٩٨٥م، وخاصة خلال ١٩٦٧ـ١٩٨٥م، تعتبر منحازة للعرب ومعادية لاسرائيل. ومن ذلك قول أنور خوجا «إن اسرائيل خلقتها الامبريالية والصهيونية العالمية»، حيث أصبح الآن يقارن بما كان يقوله هتلر، أو انتقاد خوجا لاسرائيل على العملية التي قامت بها في لبنان خلال نيسان ١٩٨١م والتي شبّه فيها ممارسات القوات الإسرائيلية مع الفلسطينين بممارسات القوات الصربية مع الشعب الألباني في كوسوفو. وبالاستناد إلى ذلك أصبح النظام الشيوعي السابق في ألبانيا يُتّهم الآن بأنه «كان يأوي الإرهابيين العرب الذين كانوا

---

[١] ولد كادراريه عام ١٩٣٦م في عائلة بكتاشية بمدينة جيروكاسترا (التي تحدث عن العلويين فيها اوليا جلبي) وتخرّج من قسم اللغة الألبانية وآدابها في جامعة تيرانا ثم حصل عام ١٩٥٨م على منحة لمتابعة دراسته في معهد مكسيم غوركي في موسكو، ولكنه اضطرا لقطع دراسته في ١٩٦٠م بسبب الخلاف الاديولوجي بين الاتحاد السوفييتي والصين (التي انحازت إليها ألبانيا). عمل في الصحافة أولا إلى أن صدرت روايته الأولى «جنرال الجيش الميت» (١٩٦٣م) التي شهرته في العالم بعد ترجمتها إلى الفرنسية. خلال ١٩٧٠ـ١٩٨٢م أصبح عضوا في «مجلس الشعب» لدورتين متتاليتين ثم أصبح نائبا لرئيس «الجبهة الديموقراطية» الواجهة السياسية للحزب الشيوعي الألباني. مع بداية المظاهرات المطالبة بالديموقراطية لجأ إلى باريس في ١٩٨٩م، حيث بدأ مسيرة جديدة في الأدب والسياسة وانتخب عام ١٩٩٦م عضوا في الأكاديمية الفرنسية. رُشّح عدة مرات لجائزة نوبل.

[2] ISMAIL KADARE, *Cette Albanie qui frapse al porte del'Europe,* L'Figaro, Paris 19 Mars 1992.

يقومون بأعمال إرهابية ضد إسرائيل»[١] . والمقصود هنا علاقة النظام الألباني السابق بفصائل المقاومة الفلسطينية وتقديم بعض المساعدات لها ، بما في ذلك تقديم منح ودورات تدريبية لبعض الشباب الفلسطينيين، وصولا إلى فتح سفارة فلسطينية في تيرانا بعد إعلان استقلال فلسطين في الجزائر خلال ١٩٨٦م .

ومن هنا فقد زار كاداريه اسرائيل ثلاث مرات دون أن يعبّر عن أي اهتمام بوضع الشعب الفلسطيني في «الأراضي المحتلة»، أو حتى بزيارة أية دولة عربية على الرغم من رواياته الكثيرة التي ترجمت إلى العربية . وقد تتوّجت هذه العلاقة مع زيارة اسرائيل في شباط ٢٠١٥م لاستلام «جائزة أورشليم» ، التي تُعتبر أعلى جائزة أدبية في اسرائيل تُمنح للأجانب وتفتح الطريق عادة إلى جائزة نوبل . وفي هذه المناسبة أشادت وكالة «اسرائيل ناشيونال نيوز» بألبانيا باعتبارها «إحدى حليفات اسرائيل القلائل في العالم الإسلامي التي لها علاقات دبلوماسية وتجارية مع اسرائيل» ، وعندما سألت كاداريه عن التشابه بين الألبان واليهود ركّز كاداريه على «التسامح والصداقة بين الشعبين» وعلى أن التشابه يكمن في «الكفاح لأجل البقاء»[٢] .

وفي هذا السياق لا يعد من المستغرب أن يتندّر كاداريه على الرواية الشائعة في التراث الشعبي عن «الأصل العربي» للألبان وانحدارهم من جبلة بن الأيهم في كتابه الأخير «صباحات مقهى روستان» ، وكأنّ هذه النسبة تُلحق الإهانة بالألبان الآن أخذا بعين الاعتبار تاريخهم القديم في الفترة الاليرية والرومانية وصولا إلى مقاومة الألبان للحكم العثماني بقيادة اسكندر بك[٣] .

---

(1) ABDE BALETA, *Përballje me Islamofobinë,* Tiranë (Rimëkemja) 2006, p.444.

(٢) محمد م. الأرناؤوط: هل ينال الروائي الألباني إسماعيل كاداريه نوبل بعد «جائزة اورشليم» ، جريدة «الحياة» ٢٠١٥/٢/١٦م ؛ يوسف القعيد : محنة روائي زار اسرائيل ، جريدة «البيان» ، دبي ٣/٢/ ٢٠١٥م .

(3) KADARE, *Mëngjesët në Kafe Rostand,* Tiranë (Onufri) 2014, pp.149-152.